

المبحث الثاني

عصر الخلافة (316-366 هـ / 929-976 م)

عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر
اتصف الأمير عبد الرحمن الناصر بصفات حسنة وحميدة حيث استقبل مجتمع الأندلس خبر توليه الحكم بارتياح لأنه كان يحمل خطة ومشروعاً لإقامة دولة ناجحة باتباع أسلوب الحزم والعزم وتوحيد كلمة المسلمين⁽¹⁾. أعلن الأمير الخلافة في الأندلس في عام (316 هـ / 929 م) وتلقب بأمرير المؤمنين والناصر لدين الله فأضفى على دولته صبغة دينية وسياسية منافساً بها المشرق الإسلامي⁽²⁾. أهم أسباب إعلان الخلافة في الأندلس⁽³⁾:

- 1- تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق وهيمنة الأتراك عليها.
- 2- استجابة لرغبة أهل الأندلس في أن يكون حاكمهم خليفة للمسلمين.
- 3- منافسة الخلافة الفاطمية في المغرب ومصر.
- 4- لإظهار قوة دولة الأندلس بعد التغيرات التي طرأت عليها.
- 5- انتصار الأمير عبد الرحمن الناصر على الثوار المتمردين وسيطرته على البلاد وإنهاء حالة الفوضى والاضطرابات.

فكانت هنالك ثلاثة خلافات في العالم الإسلامي⁽⁴⁾:

أ. الخلافة العباسية في المشرق.

ب. الخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي.

ج. الخلافة الأموية في الأندلس.

شهدت الأندلس في عصره التعايش السلمي بين مكونات المجتمع بدون تمييز من خلال ترميمه دور العبادة للنصارى واليهود مؤكداً في ذلك الوحدة الوطنية وبناء مجتمع قوي متماسك، كان هدف الخليفة عبد الرحمن الناصر عند توليه حكم الأندلس القضاء على الثورات والفتن الداخلية من خلال تنبيه المجتمع الأندلسي للخطر الإسباني الذي يهدد أمن الجميع لذلك انطفأت وأخمدت بل انضمت تلك القوة الخارجية على سلطة دولة الأندلس إلى جيش المسلمين لمحاربة العدو المشترك، وبذلك انحصرت التمردات الداخلية بمجابهة الأخطار الخارجية⁽⁵⁾. فقد وصفت سنوات حكمه بـ "...اتساع ملكه، وقوة سلطانه، واقبال دولته، وخمود نار الفتنة على اضطرامها بكل جهة، وانقياد العصاة لطاعته..."⁽⁶⁾

اتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الإسبانية والدول المجاورة بتبادل السفارات والهدايا، وهذا دليل ما وصلت إليه الأندلس من الرقي الحضاري والتطور العلمي والاستقرار السياسي والاقتصادي والتنوع الاجتماعي والتفوق العسكري لجيش المسلمين⁽⁷⁾. سيطر الخليفة على الأوضاع الداخلية إدارياً باتباع سياسة إعادة

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص19؛ الضبي، بغية الملمتس، ص17.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص26؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص156-158؛

Ferrin, historia general de al-andalus, PP. 345-358

(3) ابن الأبار، الحلة السيرة، ص115؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص137 و138، عباس، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص105.

(4) ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص156؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص137؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي، ص129.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص26؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص203-209. ينظر ملحق رقم (4) خريطة جغرافية توضح حدود بلاد الأندلس في عصر الخلافة.

6 ابن الأبار، الحلة السيرة، ص115 و116.

(7) الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص26؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص137 و138؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص174-177.

الهيكليّة للدولة بتعيين أهل الخبرة بغض النظر عن دينه وقوميته سواء كان مسلماً أم مسيحياً، عربياً أم بربرياً، وعمل نظام الرقابة ، وسمح بالنقد الذاتي داخل المجتمع الأندلسي⁽⁸⁾ .
 لم يتوقف الخليفة خلال حكمه عن الغزوات بنفسه التي حقق فيها انتصارات كبيرة على الممالك الإسبانية بحملات الصوافي والشواتي عدا (معركة الخندق)، عرفت هذه المعركة بـ غزوة الخندق أو الوقعة الشهيرة وتسميها المصادر الإسبانية بـ غزوة القدرة⁽⁹⁾ . إنّ تسميتها بالخندق يعود لوقوعها تحت أسوار المدينة التي حدثت فيها المعركة ووقعها على خنادقها، وبعض المؤرخين لم يُسمها بل أشار إليها في أثناء حديثه عن المعركة بالخندق⁽¹⁰⁾ . وبعضهم تجاهلها ولم يذكر هذه المعركة بل أشار إلى معركة أخرى هي (وقعة ارتقيرة)، وبقي ذكر هذه المعركة طويلاً بالأندلس حتى أنهم كانوا يذكرون السنة التي حدثت فيها المعركة بـ (سنة الخندق)⁽¹¹⁾ . اختلفت الآراء حول تحديد موقع المعركة بعضهم يجعلها في داخل المدينة وبعضهم يؤكد وقوعها خارج المدينة والبعض الآخر ينسبها إلى مدينة أخرى ؛ غير أن المصادر الإسبانية أشارت إلى وقوع المعركة ضمن الأراضي القشتالية والأرغونية تحديداً في مدينة (سيمانكا)⁽¹²⁾ .
 أما المصادر العربية فأكدت وقوع المعركة في مدينة (سمورة)⁽¹³⁾ فهي مركز مملكة ليون أو ضمن حدودها يحيط بها سبعة أسوار شاهقة البنيان من البناء الضخم وبين الأسوار خنادق متسعة تفيض بالماء فافتتح المسلمون سورين منها⁽¹⁴⁾ .
 في حين هناك رواية أخرى تحدد موقع المعركة على باب مدينة (شانت مانكش) أو بالقرب منها⁽¹⁵⁾، أو بينها وبين مدينة سمورة⁽¹⁶⁾ . حدثت معركة الخندق في يوم الجمعة من الحادي عشر من شهر شوال
 عام (327هـ / 939م) في الأول من شهر آب بقيادة عبد الرحمن الناصر خليفة بلاد الأندلس وببنيين مملكة الجلالة (ليون) بقيادة ملكها (رذمير) ويقدر جيش المسلمين بمائة ألف أو يزيدون واستمرت المعركة ثلاثة أيام⁽¹⁷⁾ وتشير المصادر الإسبانية إلى استمرار المعركة لأربعة أيام⁽¹⁸⁾ .

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص156-162 ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص202 و203؛ مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص43 و48 .

(9) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الإعلام، ج2، ص36-37؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص139-140 .

Fierro, Maribel, Abdderrah Man III Y el califato Omeya de Cordoba, de la edicion castellana: editorial Nerea, de los textos, Paris, 2011, P. 57-58.

(10) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ / 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، بلاط، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ج1، ص356 .

(11) بول، ستانلي لين، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم، الطبعة التاسعة، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1947م. ص116 .

(12) تقع جنوب غرب بلد الوليد على ضفة نهر دويرة، وهي محلة صغيرة فيها عدد قليل من السكان . للمزيد من المعلومات ينظر: عنان، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال- دراسة تاريخية أثرية، الطبعة الثانية، مطبعة المدني / مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1997م، ص320 .

(13) هي مدينة فاصلة بين المسلمين والإسبان (الناصرى) توصف بأنها مستطيلة الرقعة كبيرة تقع فوق مرتفع صخري يشرف على نهر دويرة . للمزيد من المعلومات ينظر : عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص352 .

(14) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص353، مراكشي، المعجب، ص226 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص324 ؛ المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص342 .

(15) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الإعلام، ج2، ص36-37؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص333 .

(16) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص320 و352 .

(17) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص355-356 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص324-325 ؛ ابن الخطيب الغرناطي، تاريخ إسبانيا، ص36-37 .

(18) Vallve, Jua quin, el califato de Cordoba, editorial Mapfre. S. A., Madrid, Espana, 1992, P.219-224.